

نخبة التنمية ٩٩٩٩٩

مصطلح "النخبة" من المصطلحات السيارة، يتردد بين المهتمين بالشأن العام كما يجري في وسائل الإعلام وعلى ألسنة الساسة، غير أن انتشار هذا المصطلح وذيوعه لم يشفع له في أن يظل من المصطلحات الملتبسة الحدود، فهو لدى المستعملين لا يعني مفهوماً واحداً، شأنه في ذلك شأن كثير من المصطلحات الوافدة التي دخلت سياقات الاستعمال دونما ضبط أو تحديد. . .

وقد يكون من المناسب حينئذ، أن نعود إلى الوقوف على هذا المصطلح في سياقه الحضاري الغربي الذي ولد فيه، ونحاول الوقوف على تطوره الدلالي، فنجد أن المعنى مستوحى من العبارة الإغريقية kalos kagathos والتي يمكن ترجمتها بـ"الجلال والجمال"، وفي هذا الفلك تدور التعريفات الغربية لمفهوم النخبة، فهي بصورة عامة، تشير إلى جماعة في المجتمع متميزة بالنفوق، وتستند في تفوقها إلى مركز اجتماعي متقدم، أو إلى قدرات فكرية أو علمية، أو إلى ثروة مالية طائلة، أو إلى مرتبة دينية، على أن ذلك لا يحول دون اجتماع بعض تلك الركائز أو جلها في آن واحد، عند بعض من يشار إليهم بالنخبة. . .

د. محمد قماري

وانطلاقاً من دفع الالتباس، غلب في وقتنا الحاضر إطلاق مفهوم النخبة مضافاً إلى صفة، كأن يقال: النخبة الثقافية، والنخبة العلمية، ونخبة الفلاحين، ونخبة العمال، وإجمالاً يطلق على مجموعة تتولى القيادة في مجال معين من مجالات الحياة، ولعل القصد من ذلك رفع بعض ذلك الالتباس الذي أشرنا إليه. . .

لكن ظل استعمال المصطلح بالمطلق، دون تخصيص، يغلب عليه الإشارة إلى الجماعة التي تتولى قيادة المجتمع بأسره، وهنا نقول "النخبة الحاكمة" ويقابلها بالضرورة في النظم الديمقراطية "نخبة مضادة" تعارضها أو تطرح نفسها بديلاً لها، وقد يتبادلان الدور، فتتحول "النخبة

المعارضة" إلى حاكمة، والفصيل بين الأولى والثانية هو حجم الفاعلية، وتحقيق أكبر قدر من الرضا بين الناس، لأن التداول يخضع في النهاية إلى تحكيم آرائهم.

لقد خلصنا إلى هذا التحديد المصطلحي، وإن لم يكن شاملاً، استجابة لضرورة علمية وعملية، فكثير من المفاهيم والمصطلحات التي تعج بها حياتنا غير منضبطة، ونحسب أننا نحسن صنعاً إذا ما أدخلناها قاموس الاستعمال قسراً بتأثير قوة الترديد، بل قد نظن أن ذلك يعفينا من واجب الحفر وراء الدلالات، ويعفينا من تسويق المصطلح بوصفه قيمة "فعالة"، تبني وتهدم، تزيل وتنتشئ، لا أحرف هجاء يحملها مثلق دون حمولة معانيها، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعادلة المختلة، وجاء عرضها في صورة ذلك الحيوان الذي لا يدرك قيمة ما يحمل: [مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] (الجمعة/5).

أشرنا، من قبل، إلى أن أصل مصطلح "النخبة" في السياق الغربي يدور في فلك "الجلال والجمال"، وبداية أن الجلال والجمال بهذا المعنى مفهوم "تراكمي متحرك"، فهو أبعد ما يكون عن "الستاتيك" الذي يجعله محصوراً في جيل دون جيل، أو في قطاع من المجتمع دون سواه، بل هو مفهوم "ديناميكي" عموده وقطب رحاه فكرة القيام بالواجب، والحرص على أن يتم أداء الواجب متلفعاً برداء الجلال والجمال، على اعتبار أن الواجب هو وجه العملة الآخر لنيل الحقوق. . .

إن القيام بالواجب هو الذي يصنع القيمة، ولا يصنعها الموقع المفترض لأداء ذلك الواجب، ومن هنا فالنخبة لا يتم رصدها بالضرورة على الشاطئ، حيث تتدافع الأمواج على السطح مخلفة في تدافعها الزيد الذي يذهب جفاء، فالجلال والجمال هناك يختمر في الأعماق حيث ما ينفع الناس، حيث توجد خميرة الإنتاج والنماء، تمد المجتمع بأسباب نهضته وبأسباب استمرار هذه النهضة. . .

وما من أحد مؤهل لحمل لواء هذه المهمة كأهلية "نخبة التنمية" لحمله، وهي بالضرورة النخبة العالمية والمفكرة، شرط أن لا يحدث لبس في حقيقة أمرها، فتغدو مرادفاً مبتذلاً يقتصر على حملة الشهادات، وتصبح وسيلة التكوين والتعليم غاية في ذاتها، فإذا طال الأمد تحولت هذه الغاية السراب إلى مجرد هيكل بيروقراطي يمنح "شهادات" دون "مؤهلات". . .

وبعد، فهذا هو العدد السادس من مجلة "معالم"، يحمل بين دفتيه مواضيع متنوعة تتقاطع في مجملها على محور "نخبة التنمية"، وهي ترسم الخطط وتصنع المساحات أمام تحرك سياسات بلدانها وشعوبها في بسط نفوذها، ومراعاة مصالحها، تحت عناوين جذابة، كما يظهر من مقال "أصل التدخل لحماية المدنيين واستعمالاته"، أو بالقدرة على تحقيق المنافسة والتفوق التي يظهرها نموذج التعليم العالي في بريطانيا في مقال "المثلث الذهبي"، حيث تظهر قوة منظومة التعليم العالي في قدرتها على المنافسة الاقتصادية والثقافية، أو من خلال الرحلة التاريخية مع تجربة شركة الهند الشرقية "من التجارة إلى اللسانيات"...

وما دامت "معالم" تعنى بالأساس بعالم الترجمة، فقد وقفت عند قضية "الترجمة الآلية" التي أسهمت في كسر الحواجز بين اللغات وسد العجز في مجال متابعة الوثيرة السريعة للنشر، مع الاعتناء بالترجمة "المتخصصة" التي تضبط المفاهيم وتنثري القواميس، وفي العدد موضوعات أخرى لسانية وأدبية وثقافية، نأمل أن تسهم في إشباع فضول المتلقين من باحثين ودارسين وطلبة.

..

والله الموفق